# المرأة الشداقة

**خلق** الله الإنسان بكلمة فقال له كن فكان ..ومنحه عقلاً اختصه بالتفكير ورئتين اختصهما بإمداد الجسم بما يحتاجه من أكسجين والتخلص من ثانى أكسيد الكربون، وقلبًا وشرايين وأوردة اختصها بضخ الدم وتوزيعه توزيعًا عادلاً على جميع أجزاء الجسم وجهازًا خاصًا بالكلام (لسان - شفتين - بلعوم - حنجرة ) ..ومن العجيب أن جهاز الكلام زود بعضلة تسمى اللسان، وضعت فى فم محاط بسياج من شفتين وأسنان تنظم خروج الكلمة أو تمنعها تمامًا حتى لا يندم قائلها عليها بعد ذلك، لأن الكلمة متى خرجت من زنزانة الفم لا تعود للعبودية والقيد مرة أخرى، وإن بذل فى ذلك كل غالٍ ورخيص! ! فالمرء سيد على كلامه قبل التفوه به ..أسير لكلامه بعد النطق به ..والكلمة أمانة ينبغى أن تؤدى فى حرص وتؤدة، وأن توظف فيما يعود بالنفع على القائل والمقول له ..**والكلمة** نوعان طيبة وخبيثة ..والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أكلها دائم وظلها وخيرها وآثارها ..جذورها فى الأرض وطلعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ..والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض فما عاد لها امتداد وما عاد لها قرار.

**والكلمة** هى لغة التخاطب والتفاهم بين البشر وهى كذلك لغة التشاجر والتخاصم ..هى جسر يعبر عليه المتكلم إلى المستمع، وكلما كان الجسر متينًا كان الانتقال مأمونًا ..ويحتاج المرء أن يتعلم كيف يأكل، وكيف يلبس، وكيف يلبى نداء دوافعه وشهواته؟ ..كما أنه يحتاج أن يتعلم كيف يضبط نزواته وكيف يسمو بها إلى أعلى؟..وكيف يتكلم أو كيف ينتقى الألفاظ المعبرة الموحية بمشاعره؟ ..وكيف يفكر بطريقة سليمة، وكيف يخرج تلك الأفكار من حيز الظل إلى حيز النور.

**كم** من بيوت بُنيت على كلمة يقولها الزوج لوالد الزوجة حين يطلب نكاح ابنته وبموافقة العروس والأهل تصبح حليلة له ..وكم من بيوت هدمت بمعول

كلمة خرجت كطلقة طائشة من فم زوج مستهتر لم يُلق لها بالاً ..فقال لزوجته: أنت طالق!! كم من حروب اضطرمت واشتعلت نيرانها، ولم تضع أوزارها، ولم تكن سوى وليدة خطبة حمقاء قالها زعيم دون أن يعى ماهيتها، أو النتائج المترتبة عليها؟ ..فجرت على البلاد الخراب والدمار؟؟ كم من حرب ضروس أُوقفت بفعل كلمة طيبة قالها نبى عظيم ومعلم حكيم، آخى بين المحاربين والمتقاتلين، فوضعوا السيوف وكسروا الرماح على أسنة المحبة فى الله والإخاء فى الإسلام؟ ..كم من صلات رحم ووشائج دم قطعت أوصالها وأخرجت أحشاؤها بفعل سكين مسمم، أو خنجر ملوث وضعه فم واشٍ بين الأهل والأقارب؟؟ ..فما عادت الأسرة إلا وأصبحت أسرًا وصار الفرد أفرادًا؟ ..والجماعة جماعات!! ..وتضخمت (الأنا) ..وانتفشت وتورمت ..وهزلت (نحن) وضعفت حتى كادت تموت غيظًا وخنقًا..

**كم** من ابن وابنة تفوق فى الحياة وانتصر على صعابها، وحقق أحلامه وطموحاته، ولم يكن ذلك إلا بفعل بالنفس ألقت ظلالها على روحه ونفسه فوثق بربه ..ووثق بنفسه بفعل كلمة طيبة قالها له أبوه أو أمه، أو أخوه أو أخته، أو معلمه أو معلمته: (أنا أثق بك وبقدراتك) ..فأنبتت ثمارها فى حياته بعد حين..!!

**وعلى** العكس من ذلك، فكم من فشل فى مجلات الحياة المختلفة كان وليدًا لغرس شيطانى، وزرع عدم الثقة فى الأولاد والبنات بكلمة: (أنا لا أثق بك ولا بعقلك ولا تصرفك) ..فصار الأبناء أجسادًا بلا روح، وغدت إرادتهم مشلولة ..وصاروا لا يثقون فى عقولهم وقدراتهم على التفكير المستنير.

أو فيمن حولهم ..بل حتى حينما كبروا صارت أجسادهم فى بيت وعقولهم فى بيت آخر تدار منه ..وصاروا يتأرجحون بين آراء وأخرى ..

**كم** من رؤساء دول وملوك بلاد لا يعرفون كيف يواجهون مشكلات شعوبهم ..ولا كيف يمضون بهم إلى التقدم والرخاء ..لأنهم ما عادوا يسمعون من الناس

مشكلاتهم، ولا يأخذون بآراء ذوى الاختصاص من شعوبهم، وصموا آذانهم أمام الأمناء والعقلاء من قومهم ..وفتحوا آذانهم لتنصت جيدًا لآراء الأفاعى من الشرق أو الغرب، لأنهم متقدمون ويعرفون كيف يسيرون للأمام ..فغدت الأزمة أزمات ..وصارت المشكلة مشكلات والمصيبة مصائب! !

**والكلمة** الطيبة صدقة ..وهى كالماء تطفئ النار الخبيثة، وتنبت الثمار الحلوة فى نفس مستمعها حين يقولها المرء لا يبتغى بها إلا مرضاة الله عز وجل ..والكلمة الخبيثة تجهض الخير وتولد الشر فى نفوس الأسوياء ..وهى "كالبنزين" الملقى على النار المضطرمة لتزيدها اشتعالا:

**المرأة** الشداقة هى امرأة تحب التشدق بالكلام وتكلف السجع والفصاحة والتصنع ..ليس بهدف الإفادة أو الاستفادة ..بل بهدف إثبات الذات ..فهى تتشدق بالكلمة، وتتطاول بها وتتكلم بملء فمها تفاصحًا وتعاظمًا ..وقد تناصر القضية ونقيضها فى آن واحد! ! وتبرهن على صحة الرأيين فى آن واحد! !

**وهى** امرأة تجهد من يتحدث معها أو ينصت إليها ..لأنه لا يعرف أى طريق هى تحب السير فيه ..أو أى مرسى تحب أن ترسو عليه ..وهى تتقن فن الجدل والمراء ..وتزهو بمقدرتها على الخوض فى أى حديث ..أو أنها تستطيع أن تدلى بدلوها فى أى بئر! ! وفى أى محيط! !. وذكر حجة الإسلام الإمام الغزالى رحمه الله أن حد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما فى اللفظ، وإما فى المعنى، وإما فى قصد المتكلم..

**والنفس** السوية تمقت هذا الصنف من النساء ..لأنها غالبًا ما تثير الشجار ..وتزرع بذور الفرقة والاختلاف بدلاً من المحبة والائتلاف ..فإن كانت هناك مسافة بين رأيين أو اتجاهين فبفضل مشورتها لا تضيق الفجوة ..بل تتسع ..ولا تنقص المسافة بل تزيد ..ولا تتقارب الآراء بل تتباعد وهلم جرا! !

**يقول** صلى الله عليه وسلم: **(إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون**

**والمتشدقون والمتفيقهون؟ قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون .. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون** (رواه الترمذى).

**وقال: "من تركَ الكذبَ وهو باطلٌ بُنِى لـه قصرٌ فى رَبَض الجنـة، ومن ترك المراءَ وهو محقٌّ بُنِىَ له فى وَسَطها. ومن حسَّنَ خُلُقَه بُنى لَه فى أعلاها" (رواه ابن ماجة).**

وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته ..وما قيل عن الرجل المارى يقال عن المرأة أيضًا.

**ويقول الإمام الغزالى رحمه الله:** إن ترك المراء يعنى ترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذبا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فأسكت عنه. ويقول: والواجب إن جرى الجدل فى مسألة علمية السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة، أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن، وأما قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه، فهى المجادلة المحظورة التى لا نجاة من إثمها إلا بالسكوت، وما الباعث عليها إلا الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما صفتان مهلكتان. ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه[1].

**وهذا** هو ابن أبى ليلى يذم المراء هو الآخر، ويحذر من نتائجه وعواقبه السيئة ويقول (لا أمارى صاحبى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه).

**ويقول** أحد الأئمة رضى الله عنهم: لو جادلنى ألف عالم لغلبتهم، ولو جادلنى جاهل واحد لغلبنى!!.. أى أنه لو حاوره ألف عالم بمنطق وعلم لحاورهم ولدحض حجتهم وانتصر عليهم بالحق والعلم، ولكن لو جادله أحمق واحد بجهله وحمقه لغلبه، لأنه لو أصر على رأيه أمامه ودفع بحجة لم يكن

---

(١) من كتاب إحياء علوم الدين ..للإمام الغزالى.

له نصيب إلا الشتائم والسباب، فمن باب أولى عدم مجادلة الجاهل أو الأحمق؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة.

**والنقاش** مع أصحاب العلم والعلماء والمفكرين والأدباء وذوى المعرفة، له طعم ومذاق كريم ..يدفع العاقل دومًا إلى الاستفادة من خلال مطالعته لكتبهم ..أو قراءة مقالاتهم فى المجلات والجرائد ..أو الاستماع إليهم من المذياع أو مشاهدتهم فى التلفاز أحيانًا ..أو حضور محاضراتهم التى يطرحون فيها آراءهم بكل موضوعية وصدق تجاه كافة المشكلات والقضايا..

ولكن تبادل الرأى مع الجهلاء وأشباه العلماء وأنصاف المتعلمين والمتشدقين والمتحذلقين لا خير فيه، لأنه محبط لكل انفعال وقاتل لكل الآمال ..ومظلم لكل بصيص ضوء يريد أن ينبثق من رأس أو يطل من عقل..!!

**فالمجادل** والمتشدق والمتحذلق ليسوا بأقل ضرر على الأمة والمجتمع من أدعياء العلم ..ليس لأن علمهم قليل لا يستند إلى منطق أو حكمة، أو لأنهم لا يستشهدون بمنطق العلم أو الدين ليعضدوا آرائهم وصحة نظرهم صوب أى قضية مطروحة فى الساحة ..فالمشكلة أن لديهم علمًا ولكنه مشوش وناقص ومبتور، لم يكتمل نضجه ونموه بعد ..فعلمهم مازال فى رحم الفكر فى أشهره الأولى ..ولم يصل إلى الشهر السابع أو التاسع بعد ..وكل جنين لم يكتمل نموه وخرج إلى النور فحتمًا سيكون الهلاك هو مصيره المرتقب..!! فلا يكتفى أن يكون للجنين أذرع وأرجل وهيكل عظمى وقلب أو مخ ..ولكن ينبغى أن يتم نضج وتكوين الأجهزة لتعمل بكفاءة كما قدر لها ..ولا نستطيع الحكم القاطع على إنسان مازال موجودًا فى رحم أمه ولم تر عيناه النور بعد!!

**ما أكثر** المتشدقين من الرجال فى زماننا هذا ..وما أكثر المتشدقات!! ما أبشع المتحذلقين والمتفيهقين من الرجال والمتفيهقات والمتحذلقات من النساء..!!

والمتشدقة قد تعلن رأيًا فى قضية ..وقد تصنع من الحبة قبة كما يقولون ..وقد تتعدى الحواجز التى ينبغى الوقوف عندها وعدم تجاوزها بأى حال ..فتقول قاصدة، أو غير قاصدة، إن المرأة المسلمة كى تتقدم وتكون فى مقدمة الركب الحضارى فى العالم ينبغى أن تحاكى المرأة الأوربية فيما وصلت إليه .. وفيما اتخذت من أسباب ..وفيما ترغب من أهداف ..إن هناك مبادئ عظيمة فى الإسلام ينبغى أن تحرص عليها المرأة المسلمة ..ولكن لا تنسى أن هناك التزامات أو تزمتات موجودة كذلك ..فعلينا ألا نعيرها اهتمامًا ..ولا نمنحها التفاتًا ..لأن الالتفافات يعنى الرجوع إلى الوراء والتخلف والعبودية والعودة إلى عصور "الحريم وعصر سى السيد"[1] . وقد تطالب بأن تدع المرأة الحجاب ولا ترتدى يومًا النقاب، وأن تخطو فى الحياة مع الرجل قدمًا بقدم وساقًا بساق ويدًا بيد ورأسًا برأس ..وعليها أن تتحرر كذلك من سيطرة الرجل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بأن تعمل وأن يكون لها قدم فى كل مؤسسة حكومية أو وطنية ..أو يكون لها يد فى كل وظيفة يقوم بها الرجال لتبرهن للرجال أن المرأة ليست ناقصة ..وهى ليست أقل منه بل قد تعلوه وتفوقه ..وأنها قادرة على أن تسترد حريتها وسيادتها على نفسها وألا تكون خاضعة (أو محكومة) لأنانية الرجل وأوامره ..فإن ناقشت مثل هذه السيدة وتلوت عليها بعض الآيات الكريمة من كتاب الله ربما قالت: لا تقل قال الله ..بل قل بالمنطق والعقل كما أقول لك ..وإن قلت قال رسول الله ..قالت: لم يقل! ! هذا حديث ضعيف ومكذوب..!!.

هى ترفض منطق السماء وتريد منطق الأرض ..ترفض أن تسمع أو تفهم أو تبصر ما غاب عنها بقصد أو بدون قصد ..بوعى أو بجهل ..ولا تعلم أنها حين ترفض ذلك فقد خلعت ربقة الإسلام عن رقبتها.

---

(1) نسبة إلى شخصية سى السيد فى ثلاثية نجيب محفوظ المشهورة والذى كان يصنع الرذيلة ويتظاهر بالتقوى ويحرم بناته وزوجته النظرة والكلمة واللفتة وكن يطعنه ويخفن منه

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب /٣٦). وقال سبحانه وتعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

وإن أنصتت فى البدء وصرت تتلو عليها بعضًا من الآيات وتفسرها لها، قالت: هذا تفسير قديم لا يعتد به نريد تفسيرًا عصريًا للقرآن..!!

إن المرء لا يملك إلا أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ..لقد مضى الصلاح ..وتعذر الإصلاح ..مضى العلماء إلا من رحم الله وعصم وبقى الجهلاء وما أكثرهم فى زماننا وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل بحكمته وبعلمه من خلف أسوار الغيب، فأراه ربه سبحانه وتعالى ما سيحل بأمته من بعده، فقال صلى الله عليه وسلم: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)**[٢] .

أما المتشدقون والمتشدقات والمتحذلقون والمتحذلقات فهم يعتقدون أنهم يعرفون كل شىء عن أى شىء ..فهم قادرون على قراءة القرآن وإن أخطئوا فى نطقه وتشكيله، وقادرون على فهمه فهمًا صحيحًا دون الرجوع إلى كتب التفسير الموثوق بها ..والتى كتبها علماء أفاضل أجلاء بعد جهد جهيد وكفاح مرير فى تتبع الكلمة والآية والمناسبة التى نزلت فيها والأحكام المستنبطة منها ..وإن قرأوا اكتفوا بتفسير عصرى هوائى يطرحه بعض الجهلاء ..ويقرأون التاريخ الإسلامى ليس من خلال عظمائه وعلمائه والثقات ممن أرخوا له ..ولكن يتناولونه من زاوية بعض المستشرقين أو المستغربين الذين يتناولون الإسلام من

---

[١] النساء / ٦٥

[٢] رواه مسلم فى كتاب العلم

منطلق أنه مرحلة تاريخية فحسب مليئة بالحروب وانتهت. وقد انتشر الإسلام فيها من خلال قوة السيف.

إن دعاة الحضارة ونساج التقدم الفكرى الذين تسمموا بأفكار المستشرقين والمستغربين سواء أكانوا رجالاً أم نساء ..صار خطرهم على عالمنا الإسلامى أشد فتكًا وخطرًا من الطاعون والمفاعلات الذرية، لقد أمر الله تعالى المسلمين والمسلمات أن يسألوا أهل العلم والذكر إن كانوا لا يعلمون الحكم فى قضية حتى لا يحدث اختلاف وشقاق.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل / ٤٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿..الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ( الفرقان / ٥٩).

بينما المتشدقون والمتشدقات لا يسألون إلا أنفسهم أو من هم على شاكلتهم!!